ولا مشاحة ان الدين فضل زائل وكل ما عليها فانٍ ولكن الانسان ما وُجد لينقاد صاغراً الى هذا الفناء ولا ليزيده اصراعٌ بين هو حيٌّ ويطلب الحياة وان مات كفرد من مجتمع فما هو الاَّ دقيقية صغيرة من دقائق هذا المجتمع تموت ليقوم غيرها مقامها والمجتمع حي الى ما شاء الله. فمن استطاع ان يبقي اثرًا يستعزُّ به الخلف ويستفيد منهُ فهو حريٌّ بذلك ويعاب عليه ان يبقي اثرًا زائلاً يمحى سريعاً او يتقوَّض ويتلف

مدينة منف

بقلم حضرة احمد بك كمال الامين الوطني المساعد في المتحف المصري

تمهيد

تكونت بلاد مصر من طمي النيل فكان يأتي من اعلى السودان وترسب منهُ الرواسب من اصوان الى تل بنها العسل. وتمادى ورودهُ حتى تكوَّن منهُ الوجه البحري وزرعت اراضيه ولذا قال عنهُ هيرودوتس اليوناني انهُ هدية من النيل. ثم تفرَّع النيل فيه الى ثلاثة فروع وهي الفرع الكانوبي اي فرع ابي قير والفرع البالوزي وهو فرع دمياط والفرع السبنيتي وهو فرع محمود بين الفرعين السابقين. وكان هذا الاخير يقسم مثلث الدلتا اي الوجه البحري الى قسمين متساويين وذلك على مقربة من قرية قديمة تعرف باسم كركسور بجوار امبابه على ستة كيلومترات من القاهرة. ولما طمَّ فرع دمياط زال انقسام المثلث تقريباً بانتقال هذا الفرع الى الجهة المنخفضة على بعد ١٥ كيلومترًا. وكانت تلك الفروع الثلاثة تجتمع في ملتقى يخرج منهُ رياحات وجداول وتجار بعضها طبيعي والبعض صناعي وكانت تارة تتسع وتارة تضيق وطورًا تعمق وطورًا تمد واحيانًا تنتقل وتتشعب الى فروع تجري في الوجه البحري وترسب فيه الطمي حتى صحت اراضيه خصبة وصارت حدود مصر من الجهة البحرية البحر الابيض المتوسط ومن الجهة الجنوبية بلاد السودان ومن الشرقية جبال العرب ومن الغربية جبال ليبيا او برقة وهاتان السلسلتان من الجبال تتقاربان بين اصوان واسنا حتى تكادا تتلاصقان ثم تأخذان في الانفراج كلما امتدتا الى الشمال حتى تصلا الى امام القاهرة فتتجه احداهما الى الشمال الشرقي حتى تنتهي بهضبات الشام وتتجه الثانية الى الشمال الغربي حتى تنتهي بجبال المغرب. ويجري النيل بينهما متشعبًا في اراضي مصر فيرويها ثم يصب في البحر الابيض. فمصر كانت ولا تزال ارضًا زراعية ابتدأ تكونها في الوادي الممتد من جبل السلسلة الى الدلتا ثم اخذت تنمو من

عصر الى آخر بسطح محدب تشغلهُ خطوط محدبة تنتهي بجرى النيل وقت الصيف فكان اذا فاض تدفقت مياههُ في النواحي المنخفضة فتحدث فيها مواطئ يركد في بعضها الماء الى وقت التحريق وبذلك كانت الاراضي المزروعة غير منتظمة لعدم استوائها. ثم حصر النيل في مجراهُ بين جسور ذات انعطافات تارة تحيط بقسم واحد وتارة تحيط بجهات واسعة وكانت تلك الجسور اشبه بحصون مبنية بالطوب اللبن ومشيدة بإحكام لا يدخلها الاَّ قليل من الحجارة وكان بينها جسور اخرى فاصلة بين الاراض العالية المماسة للنيل وبين الاراض المنخفضة التي في جانبي الوادي وتقسم الحياض الكبيرة الى حياض صغيرة لسهولة الري

وهذه الجسور القديمة وجدت دفعة واحدة في جملة بقاع بان شرع رجال الامَّة فيها بما دفعتهم الطبيعة عليه وساقتهم الحاجة اليه فبنوها جسوراً متفرقة واستمروا في اقامتها الى ان قضى عليها الزمان بالتواصل والالتحام ثم تحسنت وتوثقت لاهتمام الاهالي بها فكان اولاً كل قسم ينظر الى مصلحته فيقيم الجسور ويحفر الجدول ليحجز الماء عنده المدة الكافية لري ثم يصرفهُ من غير ان يلتفت الى ضرر جاره فمن ذلك كان هذا الامر موجباً للمشاجرة الدائمة بين الزراع والمنازعة المستمرة التي دعت الى سن قانون للري انقاد الجميع اليه وبموجبه اصبحت مصر مقسمة بين جمعيات يشعر اعضاؤها انهم من نسل واحد يسمى (بَايِتْ) الشيء من عائلة واحدة تسمى (بَايْتُو) ورؤساؤهم يعرفون باسم (رُبَايْتُو) وكان لكل عائلة متوطنة في جهة رئس يسمى (رُبَايْتُوحَعْ) وكانت السيادة الحقيقية لهؤلاء الرؤساء لكونهم ورثوها عن اجدادهم فلهم الحكم المطلق والتصرف التام في جباية الضرائب من غلات الارض وفي تقسيم الارض بين قومهم وفي اعلان الحرب او التحريض عليها وفي تقديم القربين للمعبودات وكان الاهالي ينقادون اليهم وكانت جهاتهم أشبه بامارات صغيرة كان لكل امارة اسم مخصوص منها إمارة (أَبِفْ) وكانت شاغلة لوسط مصر ومبدأها حيث يأخذ النيل في الاتساع وكان الري فيها منتظماً وارضها أجود الاراضي ولذلك كانت مهداً للتمدن المصري وقاعدتها اسيوط وكانت هذه الإمارة مشمولة من جهاتها الثلاث بجدول يروي ارضها ويحفظها لانهُ كان اشبه خندق طبيعي يمنع كل من قصد بسوء فلا يتصل اليها الاَّ بجسور ضيقة فيها الشجار السنط وكان موقعها بهيج المنظر ومنها تمتد طرق التجارة الى وسط افريقية وكانت أرضها تمتد من الجبل الى الجبل ومن الشمال الى ديروط ابتداء من البحر اليوسفي ومن الجنوب الى جبل الهريدي

ومنها إمارة بحري اسيوط وتسمى إمارة الارنب وقاعدتها الاشمونين. ثم إمارة شجر الدفلى وقاعدتها مدينة أهناس وعلى جنوبها إمارة (أَبُو) اي جميم وحدودها لا تزال باقية على

قسمها وفوقها إمارة طينة وتعرف الآن بمديرية سوهاج وكانت ذات ثروة كإمارة اسيوط وارضها جيدة . وكما صعد الانسان نحو اسوان نحو جنوباً قلت الاخبار الاثرية المثبتة بحقيقة تلك الإمارات فيجد إمارة قفط وإمارة أرمنت . وكانت مدينة انكاب ومدينة إدفو مناطقين بالحفظ والامن العام لمصر قاطبة . ثم لما امتدت مصر الى الجنوب ووصلت الى اسوان صارت هذه المدينة اخر الحدود المصرية وأُقيمت في جزيرتها قلعة وسميت إمارة أسوان (خُونيت) اي المتقدمة في اول الإمارات ومن فوقها بلاد البرابرة وكان لا يجسر احد ان يذهب الى تلك البلاد

وأما الوجه البحري فقد سار فيه النظام سيراً بطيئاً لانهُ كان فيه باطح وجزائر رملية يكثر فيها نبات البردي والبلفر وغيرهما من النباتات المائية وكان النيل يتحول فيه كيف شاء فيكون ربوات تستزرع ومستنقعات تترك مراعي للمواشي ومن جرّاء ذلك كان سكانهُ يقاسون الشدائد وابتدا تكوّن ارضهم من جانب السواحل فوجد قسم أُتو اي قسم عين شمس ثم قسم الى ثلاثة اقسام قسم أتو وقسم نخد الثور وهما متقابلان وقسم منف . ثم جدّ بعد ذلك قسم صا الحجر وقسم بسطة وقسم إتريب وقسم بوزوريس وقسم العرب في شرقي الدلتا ثم قسم ليبيا في الغرب قبل بحيرة مريوط

وكانت الاقسام الشرقية تمنع عن مصر اغارة البدو من اهل اسيا وتصدُّ عنها الاقوام الرحّل الذين كانوا يأتونها للنهب والسلب . ويغلب على الظن ان امارات الوجه القبلي والبحري اخذت سيرها في نهاية امرها تنضم بعضها الى بعض حتى صارت قسمين[1] استقل كل قسم بنفسه فكانت هليوپوليس المعروفة الآن بعين شمس في الجهة البحرية مركزاً للحكومة ومنها ظهر التمدن

(١) واصل هذا التقسيم على قول المصريين ان المعبود ست حارب اسوريس اربع مائة سنة فانهزم المحروب بمصر ست محكم على مصر بعد انتصاره واما اسوريس فترك بعد موته ابناً سماهُ حوريس فقام مطالباً بثار ابيه بالكيفية المبينة بقلم الحفر في هيكل ادفو ومنها يعلم انهُ كان لحوريس هذا حاشية ووزراء وجيش وأسطول وكان ابنهُ الاكبر المدعو حورعود ولي عهده وقائد جيشه وكان تحوت رئيس وزرائه لما تحلى به من ابداع الصناعة واختراع العلوم وتخطيط البلاد وتدوين التاريخ في الساحة الملكية مع تبيان النصرات التي يفوز بها سيده حوريس مسجلاً اياها باسماء خصوصية فلما كانت السنة الثالثة والثلاثون من حكم هذا المعبود عزم على اعلان الحرب للاخذ بثار ابيه صار في تجربة من رماة ومركبات وركب سفينة والحذر بها في النيل الى ان وصل الى (بست) عدو والده فانتشبت الحرب بينها وكانت سجالاً فلم يتم النصر لاحدهما فتوقفا القتال بينهما الى المعبود ست فحكم بقسمة وادي النيل الى قسمين جعل الحد الفاصل بينهما بلدة سمي (ثوي) على مقربة من منف فاخذ حوريس مصر العليا وست مصر السفلى وعلى ذلك قسمت القسمة وتنتهي المصلح بينهما على هذا الوجه و بن مجموع هذين القسمين تكونت مملكة المراعنة اه

وانتشر بين سكان الاراضي المخصبة واحل الاباطح واسس فيها انكهنة مدارس حوت اصول الديانة المحفية ثم رتبتها واوجدت فيها التشيع فنجح وانتشر بهمة امراء الوجه البحري الذين كان لهم على سكان امارتهم السيادة المطلقة مدة من الزمن. ولما تمّ نظام الجهات البحرية حول مدينة اشتس عقد الجميع من معارفها وصنفت لهم كهنتها الدياجات الملكية والعناوين الفرعونية واوصلت نسبهم بالمعبود رع وسنت ديانته المألوفة لهم

ولما كان شكل الارض في الوجه البحري قصيراً منتظماً كان صالحاً لان تؤسس فيه مملكة واحدة منفردة بالحكم والسلطان خلافاً للوجه القبلي وهو انوادي الاصلي فان شكله الشبيه بشريط ضيق معرج كان لا يصلح ان يكون دولة مستقلة فلذلك تشكلت مصر دولة واحدة بوجه غير قطعي كان يرمز اليها بالاسل وبالنيلوفر وكانت ديانتها ناقصة الترتيب والقواعد وليس لها عاصمة تنحصر فيها امور السياسة واوامر انكهنة وكان في الجهات القبلية لمدينة هرموبوليس المعروفة الآن بارمنت مدارس لاهوتية حازت مظهراً كبيراً في بث اصول الديانة ونشر المذاهب لكن لم يمتد نفوذ اساتذتها الى الجهات القصوى من مصر لان اسيوط كانت تنازعهم السيادة وهيرقليوبوليس اي مدينة اهناس كانت تزاحمهم من الجهة البحرية ولقف في وجههم حجر عثرة اي ان المدن الثلاث كان يعارض بعضها بعضاً فالتزمت كل واحدة منها اخياد وبذلك تعذر الوصول الى اتحاد المملكة وانفراد الحكم في الوجه القبلي

وكان لكلٍّ من الوجهين مزايا طبيعية واساليب سياسية جعلت لاحكامه هيئة خصوصية ووجهة اساسية يمتاز بها عن الآخر ولما كان الاقليم القبلي اقوى واغنى واكثر عمراناً وكانت احكامه سائرة على اصول دقيقة وامور الضبط والربط جارية فيه بصرامة شديدة بهمة رؤسائه وقد قام من بينهم رجل يدعى مينا فتغلب عليهم وعلى الكهنة وادخل تحت حكمه الوجه القبلي ثم امتد سلطانه الى الوجه البحري فضم القطرين تحت سلطته وجعلها مملكة واحدة فهو اول العائلات الفرعونية واصله من طينة وهي قرية حقيرة على مقربة من جرجا او في محلها وكان مجالها في سفح الجبل الى الغرب من العرابة المدفونة جبانة فيها تابوت أسوريس [1] ويظهر ان سبب تغلب مينا ان العرابة صارت تخت للمملكة حينما اتحد اقليماها لان امارتها كانت واسعة الارجاء تشتمل الوادي من الجبل الى الجبل فضلاً عن امتدادها في وسط الصحراء الى واحة

(١) وجد هذا التابوت في العرابة في السنة الماضية وهو من الغرنيت الاسود وفوقه تمثال المعبود مستلق على ظهره وحوله يواشق على اربعة حوريس وكان متواريا في بناء معمول بالطوب اللبن وعليه اسم الملك الصانع له لكن يتعذر قراءته اذ طمست غالب حروفه وبقي انه من العائلة السادسة والعشرين

طيبة الكبرى وكانت هذه الواحة تسمى باسمها وكان سكان هذه الامارة يتخذون اسلحتهم على شكل تابوت أوسوريس حبًّا به. ثم انحطت العرابة المذكورة عن درجتها وانتقل تحت المملكة بعدها الى مدينة طينة المذكورة آنفًا وهي التي خرج منها ملوك العائلة الاولى والثانية والثالثة لكن بقي للعرابة النفوذ الديني الذي اتسع نطاقهُ وامتد سلطانهُ حتى احرزت براسطتهِ قبل تدوين التاريخ بن وبعدهُ الشهرة الكبرى والصيت الاقصى في انحاء الديار المصرية وكان معبدها البيت الوحيد الذي يحجُّ اليهِ جميع المصريين لاقامة العبادة وشعائر الدين وبسبب اجتماع رجال الاقليمين فيهِ مع عائلاتهم وانتقالهم هناك تمهدت الامور للملك مينا في ضم قسمي مصر وفي جعلهما مملكة واحدة مستقلة ولما تم لهُ هذا الامر جعلهُ المؤرخون التابعون من طيبة في عصر العائلة الثامنة عشرة اول الفراعنة وادرجهُ المؤرخون المتخرجون من منف في اول جداولهم. وقد اشتهر في جميع مصر بانهُ اول استاذ في العالم البشري وهو في الحقيقة حري بان يتصف بهذه الصفات الحميدة لانهُ قسم مصر الى اقسام ذكرت في الآثار مرتبة فنقلها الينا مؤرخو اليونان وكان عددها يختلف باختلاف الازمان فكانت ستة وثلاثين قسماً ثم بلغت اربعين ثم وصلت الى اربعة واربعين ثم تناهت الى خمسين قسماً والسبب في هذا التزايد إما النزاع الذي كان يحدث بين الامراء الحاكمين او الحروب الداخلية او الزواج او فتح البلاد او غيرها من الامور ذات البال التي قضت بانتقال الحكم والادارة من يد الى اخرى وقبل الكلام على منف يلزمنا ولا بد ان نتكلم على قسمها ومشتملاته ليقف المطلع على بعض مواضعهِ الجغرافية

القسم الثاني

يسمَّى هذا القسم في الآثار أَنبُوحرُو اي السور الابيض وهو الاول من اقسام الوجه البحري وحدُّهُ من الجهة القبلية قسم الدلتا وقسم الكبين ومن الجهة الشرقية جبل العرب ومن الجهة البحرية قسم حق اي الامير وقسم لحذ الثور ومن الجهة الغربية جبل ليبيا (١) وكان فيهِ جدول ماء يسمى خوت ذكر في قرطاس البردي المحفوظ في متحف فينا ان معناهُ النزول الى مصر السفلى واطلق عليهِ المصريون القدماء اسم بحرٍ وكان يخرج فيهِ زورق مقدَّس يسمَّى نُبْ حَرْ كان مرساهُ سلَّم الجدول المذكور. اما ارض هذا القسم الزراعية فتسمى سخت رَعْ اي غيط الشمس وارضهُ المستقعة تدعى شنُّور اي الدائرة العظمى وهو اسم يدل ايضاً على مستنقع القسم الثالث عشر لكونهِ ملاصقاً لها. ومن جهاتهِ وَفْ وهي اسم لجهة كان فيها معبد لحنوم

(١) انظر الخريطة الموضوعة بين صحيفتي ٨ و ٩ من كتابنا المسمى ترويج النفس في مدينة الشمس

ويحتي اسم لجهة اخرى كان فيها معبد لسوكاري وبابتح اسم لجهة ثالثة كان فيها معبد للمعبودة بست — وكان فيه جملة معابد منها معبد أوحا او بي ومعناه مسكن الهرم. ومعبد عير ومعبد عنختاوي اي حياة القطرين وكان فيهما مغارس لشجر السنط والسدر. ومعبد تاحات با أين ومعناه محراب قرص الشمس ونبت وهو محراب المعبودة حاتور ويحونو اسم لمدافن النجول المعروفة باسم مرايوم وحابي ن أسرحبي اسم لسرايوم سقارة وهو متبرة العجول التي اكتشفها مريت سنة ١٨٥٠ ميلادية. وكاقم اسم لمقبرة سقارة المسماة باليونانية (كاكوم)

ولهذا القسم ثلاث معبودات وهي بتاح وحاتحور سخت وإتحب. وكاهنان وهما أرخرب أبا وسم وكاهنة واحدة وهي نفرتوتو

اصناف الكتّاب

من الكتب العربيّة التي لم يتكلّم من الخط عقالها حتى الآن في ما نعلم كتاب الاقتضاب في شرح ادب الكتّاب لابن السيد البطليوسي وهو من اهالي بطليوس من مدن الاندلس ولد بها سنة ٤٤٤ للهجرة وتوفي ببلنسية سنة ٥٢١ وله كتاب الاقتضاب هذا وشرح سقط الزند وكتاب شرح الموطإ. اما ادب الكتّاب فهو لابن قتيبة المتوفّى سنة ٢٧٦. وقد شرح البطليوسي خطبة ادب الكتّاب وذكر بعدها اصنافهم فرأينا ان ننقل بعض ذلك عنه ليُعلَم ما كان عليه فن الكتابة من الارتقاء في صدر الدولة العربيّة وبقابل بما آل اليه من الانحطاط من زمن البطليوسي الى الآن. قال

اصناف الكتّاب على ما ذكره ابن مقلة خمسة كاتب خط وكاتب لفظ وكاتب عقد وكاتب حكم وكاتب تدبير. فكاتب الخط هو الورّاق والمحرر. وكاتب اللفظ هو المرسل. وكاتب العقد هو كاتب الحساب الذي يكتب للعامل. وكاتب الحكم هو الذي يكتب للقاضي ونحوه ممن يتولى النظر في الاحكام وكاتب التدبير هو كاتب السلطان او كاتب وزير دولته. وهؤلاء الكتاب الخمسة يحتاج كل واحد منهم الى ان يتبحر في علم اللسان حتى يعلم الاعراب ويسلم من اللحن ويعرف المقصور والممدود والمقطوع والموصول والمذكر والمؤنث ويكون له بصر بالهجاء فان الخطاء في الهجاء كالخطاء في الكلام. وليس على واحد منهم ان يمعن في معرفة النحو امعان المعلمين الذين اتخذوا هذا الشان صناعة وصيروه بضاعة ولا امعان الفقهاء الذين ارادوا بالاغراق فيه فهم كلام الله تعالى وكيف تستنبط الاحكام والحدود والعقائد